

## البحث عن المقاومة المدنية: تجربة شخصية/جماعية

□ سماح إدريس

«الإجماع الوطني»، وملخصها أن حزب الله ما كان عليه أن يقوم بالعملية قبل الحصول على موافقة الشعب اللبناني - والمقصود بـ «الشعب اللبناني» طبعاً: تيار الحريري والقوات اللبنانية والحزب الاشتراكي أساساً، وهي الأطراف المعادية قوياً وعملاً للمقاومة وحليفة راييس وولفويتز وفهد؟ وهل نسوا ما علمونا إياه من أن العمل المقاوم لم يحتج يوماً إلى إجماع، بل يبدأ بحفنة من المقاتلين الشجعان يتقدمون المجتمع بقبضاتهم وكرامتهم ودمهم؟ ألم يكن ذلك ما حدث عند بدء «جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية» في أيلول ١٩٨٢؟ ألم يبدأ الجنرال دوغول (مثال «الليبرالين» في لبنان) بقلة من الجنود مقارنة بالجنرال بيتان، على ما تذكر إليزابيث طومپسون في كتابها **Colonial Citizens**؟ وما لبث مثقفونا أن اهتدوا، بعد قليل عناء، إلى مقولة «الدولة»، فوضعوها في مقابل «المقاومة» - وكأن الدولة التي يتناشئها زعماء الطوائف وزبائن الأنظمة العربية والدولية قادرة وحدها على تحرير الأرض واسترجاع الأسرى.

وكان مؤسفاً أيضاً أن يتلوى أكثر مثقفينا خلف كراهيتهم (المشروعة) لاستبداد النظامين السوري والإيراني من أجل تبرير انكفائهم عن نصره المقاومة - وكأنه يستحيل أن تحفظ عن ذنوب النظامين ومنتصر في الوقت نفسه للمقاومة وللمبدأ التصدي للعدو التاريخي الذي يغزونا في عقر دارنا. وفكرت وأنا أكتب تلك الافتتاحية: إن هؤلاء المثقفين الذين يتصدرون وسائل الإعلام والصحف الرئيسية يدينون سياسة المحاور نظرياً، ولكنهم - عملياً - يصطفون في محور معاد للمقاومة حين يحجمون عن دعمها بحجة ولائها لمحور معين. وتساءلت في سرّي إذا كانت المقاومة الإسلامية عميلة للمحور السوري - الإيراني، فمن يا ترى يقف في المحور الإسرائيلي - الأميركي المقابل؟ إن أولئك المثقفين الطهوريين يرفضون كل المحاور، ولكنهم يتناسون - وهم المؤرخون وعلماء الاجتماع الذين تغنوا

إنه اجتياح جديد، قلت في نفسي.

ما إن بدأ «الرد» الإسرائيلي على عملية حزب الله في ١٢ تموز حتى تداعت في رأسي صورة الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢. كنت في بيروت آنذاك، وكان عمري واحداً وعشرين عاماً. قضيت وقتها شهراً في بيروت أثناء الحصار، ثم رحلني أهلي إلى فرنسا، ومشاعر الندم والذنب والقلق تآكلني. لا سقر بعد اليوم، قلت.

كان أول ما فعلته هو كتابة افتتاحية طويلة في الأسبوع الأول من الغزو، وزعتها على الإنترنت لأن توزيع الأرباب إلى الخارج بات مستحيلاً بسبب الحرب والحصار.<sup>(١)</sup> دافعي الأول إلى كتابتها كان إرسال صوتي إلى قرء الأرباب التي شعرت بأنها ستغيب عنهم زمناً طويلاً (وهو ما حصل فعلاً فقد غابت ثلاثة شهور - وهذا ما لم يحصل منذ تسلمي رئاسة التحرير عام ١٩٩٢). لكنني كنت أشعر أيضاً بالخيبة من كثير من المثقفين اللبنانيين الذين تكاسلوا عن نصره المقاومة، أو اعتبروا أنها تنطق بلسان طائفة معينة ومذهب محدد و«محور» مخصوص وأكثر ما أغاظني حينها أن «ثقافة المقاومة» في لبنان عانت شبيه غياب في الأيام الأولى من الغزو؛ وإلا فكيف نفسر أن كثيرين من دعاة تلك الثقافة راحوا يطنبون في الحديث عن «الذريعة» التي قدمها حزب الله للعدو بأسر الجنديين الإسرائيليين - وهم الذين فلقونا في السابق بـ «مطامع إسرائيل التاريخية» و«مخططاتها التاريخية»؟ ما بالهم الآن استكانوا لمنطق «الذريعة» البائس الذي لم تحتجج إسرائيل يوماً لضرب لبنان وسرقة مياهه وقتل مواطنيه واستباحة أراضيه جواً وبحراً وبراً؟ ثم ما بالهم لا يتنبسون ببنت شفة ضد الرئيس السنويورة وحكومته الرثة الذين «لم يتبنيوا» عملية الأسر، فخلفاً للمقاومة الوطنية مكشوفة سياسياً أمام «المجتمع الدولي» المعادي بمعظمه؟ وماذا داهم حتى راحوا يرددون كالبغايا مقولة

١ - عنوان الافتتاحية «حرام لبنان؟» ويمكن قراءتها على الموقع [www.adabmag.com](http://www.adabmag.com)

## البحث عن المقاومة المدنية: تجربة شخصية/جماعية

لم يكن سهلاً العثورُ على جوابٍ سريعٍ في هذا الشأن. فالغاية الأولى من البيان هي الوصولُ إلى موقفٍ جماعيٍّ كما ذكرتُ - ولو في الحد الأدنى. ولذا فإنَّ أيَّ نقدٍ لما يتعدى إسرائيلَ (وربما الولايات المتحدة) سيُقللُ من عددِ الموقعين، وقد يَمنعُ الأسماءَ «المعتبرة» ذاتَ «الارتباطات» من التوقيع. ولكنَّ ما قيمة بيانٍ جماعيٍّ لا يحددُ موقفاً واضحاً من الدولة والأنظمة، ولا يدفعُ كلَّ الأطراف إلى تحمُّلِ مسؤولياتها؟

تلك الليلة، وفي خضمِّ تردُّدي، تحدَّثتُ معي إحدى الصديقات على الهاتف. كانت كعادتها غايَةً في التهذيب، لكنَّه تهذيبٌ يَقطُرُ عدوانيةً وطبقيةً. «كيف يَجُرُّ حزبٌ واحدٌ بلدًا بأكمله إلى الحرب؟»، «ولماذا يُدَمِّرُ حزبُ الله كلَّ إنجازاتنا الحضارية عبر هذه السنين؟»، «كثيرٌ عقلك يا سماح، هل يستحقُّ ثلاثةُ أسرى أن نُخربَ البلدَ لتحريرهم؟»، «أستأهل مزرعةً أن تُحرقَ وطنًا وشعبًا؟». كنتُ أقابلُ صديقتي تهذيماً بتهذيب، ولكنِّي كنتُ في داخلي أحترقُ وتَفُوحُ رائحةُ حريقي ويعلو صوتي تدريجياً. إلى أن هزنتُ بمزارعِ شعبنا وبالأسرى، وزعمتُ أن كلَّ طموحِ فقراءِ الجنوب هو أن يصيروا «أغنياءً مثلنا». عندها وجدُّني أُخْرَجُ عن طوري (أو بالأحرى أعود إليه) فأشتمتُ مونا والأشرفيةَ وفردان، وأشتمتُ أختَ البورجوازية (التي أنا منها)، وأشتمتُ أمَّ مَنْ حَرَّبوا البلدَ بالديون والفسادِ وفرض الوصايةَ السورية والفرنسية والأميركية والسعودية... قبل أن يحمَلوا المقاومةَ مسؤوليةَ الخرابِ!

عدتُ إلى المنزل وجميعُ الأعضاء التناسلية، الخاصة بالذكور والإناث، تنقذ من فمي. قلتُ لنفسي أن لا مجالاً للتهاون: فإمَّا موقفٌ جذريٌّ ممَّا يحدث، أو فليذهبُ موقفنا «الجماعي» إلى الجحيم. لا معنى لبيانٍ لا يبهدل الحكومة اللبنانية والأنظمة «العاقلة»، ولا يدعو إلى مقاطعة البضائع والشركات والمؤسسات الأكاديمية الإسرائيلية والشركات الداعمة لإسرائيل أياً كانت جنسيَّتها. لا معنى لبيانٍ لا يقف، دون أدنى لبسٍ، إلى جانب حقِّ المقاومة في تحرير الأرض واسترجاع الأسرى. حتى لو لم تكن تلك المقاومةَ علمانيةً ويساريةً وقوميةً عربيةً ومؤيدةً لتحرير المرأة!

سنواتٍ بعد سنواتٍ بثوراتِ الجزائر وفيتنام وفلسطين وكوبا.. - أن ليس ثمةَ حركةَ تحرُّرٍ عالمائيةٍ واحدةٍ إلا واستندتُ إلى حليفٍ إقليميٍّ و/أو عالميٍّ (الاتحاد السوفياتي، الصين، ) لم يكن أقلَّ بطشاً يومها من نظاميِّ سوريا وإيران اليوم. أمَّ أن لبنان قادراً في رأيهم على أن يشكِّلَ محوراً بذاته، استناداً إلى وحدته الوطنية وأرزه الشامخ وعرقه البلديّ؟ وهل يُعقلُ أن من دَرَسَ ودرَسَ تواريخَ الشعوب وتاريخَ لبنان المعاصر يؤمنُ فعلاً بأنَّ «المقاومة الديبلوماسية» (بدعةُ الشيخ سعد الحريري) ستسترجع الأسرى والأرضَ استناداً إلى قراراتِ الشرعية الدولية وحدها؟



ترجمتُ افتتاحيتي إلى الإنكليزية والإسبانية وربما إلى لغاتٍ أخرى، ووُزعتُ على أكثر من عشرة مواقعٍ إلكترونية ضخمة. لكنني في الأسبوع الثاني من الغزو بتُّ أشعرُ بضرورة العمل على إيجاد موقفٍ جماعيٍّ ثقافيٍّ لبنانيٍّ يتخطى أفكاري الشخصية. ولعلَّ دافعي الأساس إلى ذلك لا يعود فقط إلى تربيتي البيئية (فقد قضى أبي سهيل نصفَ عمره يكتبُ أمامي البيانات ويجمعُ التوقيعات عبر الهاتف - إذ لم يكن ثمة إنترنت في زمنه)، وإنما إلى قناعتي أيضاً بأنَّ البيانات والعرائض أمرٌ ضروريٌّ ولاسيما إبانَ الأزمات الوطنية والحق أنني لم أقف طويلاً أمام ما قد يكتنبه ضد بياننا العتيد لبيبراليو آخر زمن الذين يَمقتون البيانات والشعارات والمواقف الجماعية ضناً منهم ب «فردية» المثقف و«تميُّزه» وابتعاده عن عقلية «القطيع» - فهذه جميعها، في رأيي، لا تحوّل دون أن يكونَ هناك صوتٌ جمعيٌّ، شرطُ أن يكونَ نقدياً ولو في الحدود الدنيا. ومع ذلك فقد ترددتُ: أكونَ البيانُ الذي سأجمعُ عليه التواقيع موجهاً ضدَّ إسرائيل وحدها؟ أمَّ ضدَّ أميركا أيضاً؟ أمَّ يشتملُ حكومةَ السنيورة التي خذلت المقاومة، ويشتملُ الأنظمةَ «العاقلة» التي غطتِ العدوانَ حين اتَّهمتِ المقاومةَ ب «المغامرة»؟



كيرستن شايد

بقايا مسجد في بنت جبيل

على تأييده للمقاومة المسلّحة، أيّاً كانت طائفته أو مذهبه أو إيديولوجيته السياسية. وكان ينبغي لهؤلاء أن يوجّهوا إلى مقاتلي حزب الله رسالةً واضحةً نحن مع حقكم المطلق في المقاومة

المُدّهش في الأمر أنّ البيان بدأ بحلقةٍ صغيرةٍ من بعض الكتاب في الآداب والسير والخيال؛ لكنّه ما لبث أن طاول عشرات آخرين في لبنان - على رأسهم مثقفون وأكاديميون تابعون للتيار الوطني الحرّ (بقيادة الجنرال ميشال عون) أو عاملون في الجامعتين الأميركية واللبنانية. والظريف أنّ البيان حصّد، بعد أيام قليلة، توقيعات مثقفين عرب وعالميين، مع أنّه لم يكن يخاطبهم مباشرةً في الأصل، وعلى رأسهم صنع الله إبراهيم وبهاء طاهر وأهداف سويف ونورمان فنكلستين وطارق علي وبرهان غليون ورضوى عاشور ومريد البرغوثي وتيسير بركات ونبيل عناني ونصر حامد أبو زيد وهاني أبو أسعد وكمال بلاطة ونادر فرجاني وعشرات الأنثروبولوجيين والمؤرّخين - الأميركيين بشكلٍ خاصّ. وعلى المقلب الآخر رَفَضَ مثقفون يساريون ووطنيون لبنانيون التوقيع على البيان بحججٍ أبرزها ما يلي

اتّصلتُ بالصديق نصرى الصايغ، فرحبتُ بفكرة إصدار بيان كتبتُه، وفي اليوم التالي أطلّعته عليه، وبدأتُ جمع التوقيعات (١) من أهداف البيان الأولى غير المباشرة أن نبيّن للرأي العام، وبخاصة العربيّ، أنّ ثمة مثقفين لبنانيين مازالوا بعيدين عن الانبهار بالحجيم «الديموقراطي»، ويدعون نظراءهم إلى اتّخاذ خطوات ملموسة داعمة للمقاومة (باستخدام أسلوب المقاطعة مثلاً). كنتُ أشعر أنّ موقف كثير من المثقفين العرب (كأحمد عبد المعطي حجازي مثلاً) مشوّشٌ تجاه المقاومة، بل ومعادٍ لها بحجّة «إيرانيّتها» و«أصوليّتها» - وكانّ هاتين التهمتين كانتا ستبرزان أصلاً لولا خيانتها الأنظمة العربية وتراجُع اليسار والحركات القومية والعلمانية العربية أو تخادُّها أحياناً

لكنّي أعتقد أنّنا كنّا نريد أيضاً أن نقول للمقاومة، من خلال هذا البيان، إنّها ليست معزولةً تماماً عن المثقفين اللبنانيين، أو إنّ تأييدها لا ينحصر في الطبقات الشعبية «غير المثقفة» داخل الطائفة الشيعية وحدها. نعم، لقد اشترى البترودولار كثيراً من الصحافيين والمثقفين اللبنانيين، أو دجّنهم، لكنّ بقي البعض

١ - راجع الوثيقة - ١ - من هذا العدد، ص ١٧٤

## البحث عن المقاومة المدنية: تجربة شخصية/جماعية

لإطلاق النار. وصادف أن كبريات الصحف الأميركية نشرت نبأ حصول لقاء قبل حوالي شهر من الغزو في كولورادو بين مسؤولين أميركيين وصهاينة تم فيه التخطيط لهذا الغزو. وحين انتهت من العريضة عرضتها على محاميين مناضلين، قبل أن أدفع بها إلى بعض الناشطين الشباب لجمع التواقيع عليها (١)

كانت الفكرة بسيطة: فأكثر المتضررين من العدوان الإسرائيلي هم بيننا الآن: إنهم النازحون من الجنوب إلى مدارس بيروت! فبدلاً من أن نذهب إلى الجنوب لجمع توقيعاتهم ضد السفير الأميركي، ها هو الجنوب يأتي إلينا. ولن يكون صعباً جداً، كما ظننا، أن نجتمع مليون توقيع (عدد المهجرين وحدهم) طبعاً لن يكون للعريضة مفعول تنفيذي، فحتى لو وقعها الشعب اللبناني بأكمله فذلك لن يشكل في ذاته سبباً كافياً لأن تبادر الحكومة (وهي ما هي عليه من تحالف مع رعاة «ثورة الأرز») إلى طرد السفير المذكور. غير أن الهدف كان معنوياً في الأساس، ومفاده أننا - كحشود هائلة من لبنان - نعرف المجرم الرئيسي وندينه وكنت أمل أن يتلقف المثقفون والقوى الوطنية في الأقطار العربية (ولاسيما مصر والأردن والمغرب) العريضة، فيطالبوا - بدورهم - بطرد السفير الأميركي في بلدانهم لكونه ممثل الدولة التي تسفك دماء إخوانهم وأخواتهم في لبنان. غير أنني - ويا للأسف - لم أتمكن من متابعة انتشار العريضة بين الناس، ولعل تقصيراً ما قد حصل من جانب الناشطين المؤكدين بهذا الأمر. ومع ذلك، فالعريضة يجب ألا تكون «بنت ساعتها» كما يقال، ذلك أن الولايات المتحدة تبقى في الماضي القريب وفي الحاضر أيضاً المسؤولة الأولى عن مصائبنا العربية. أو هي تتقاسم هذا «الشرف» مع أنظمتنا الاستبدادية (كي لا يغضب منا كثيراً) أصحاب تقديم أولوية محاربة الاستبداد على الاستعمار. وعليه، فالعريضة ما زالت راهنة، وبرسم الناس، وعلى رأسهم أهالي الشهداء والجرحى

♦ ♦ ♦

(١) أن المقاومة «حالة شيعية» ولم تصبح جزءاً من النسيج الوطني اللبناني (وكان ابتعاد المثقفين الوطنيين عنها سيُسجّعها على أن تصبح كذلك)؛ (ب) أن حزب الله مسؤول عن قتل مهدي عامل وحسين مروه قبل حوالي عشرين عاماً (مع أن نائب الأمين العام للحزب الشيوعي وقع على البيان)؛ (ج) أنه لا مبرر للهجوم الآن على الحكومة اللبنانية لأن المرحلة الراهنة مرحلة وحدة وطنية لبنانية ضد إسرائيل (وكانت حكومة السنيورة لم تكن هي التي بادرت إلى «عدم تبني» عملية الأسر البطولية).

على كل حال خسرتنا بعض الأسماء (ومنها من سبق أن رفض التوقيع على بيان ضد الغزو الأميركي للعراق بذريعة «إجرام صدام»<sup>١</sup>)، ولكننا ربحتنا أسماء عربية وعالمية ولبنانية محترمة جداً. وبلغ مجموع الموقعين حوالي ٥٠٠ اسم مع توقف العمليات الحربية، وترجمت العريضة إلى لغات عدة ووزعت على عشرات المواقع الإلكترونية الضخمة ونشرت في مجلة Middle East Report الأميركية. والأهم أننا لم نتنازل عما اعتبرناه صحيحاً لمجرد كسب المزيد من الأسماء التي لا تشكل في أنها «معتبرة».

♦ ♦ ♦

كنت ما أزال في أجواء البيانات والعرائض، ففكرت في ضرورة التوجه إلى فئة تتعدى العاملين في الشأن الثقافي. وأي هدف أحق بأن تتوجه السهام الشعبية إليه من رمز السياسة الأميركية الغاشمة في لبنان، المستر دجفري فيلتمان؟

هكذا ولدت في رأسي فكرة كتابة عريضة تطالب الحكومة اللبنانية بقطع العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة، ويطرد السفير فيلتمان. واستندت في صياغة العريضة إلى الدعم العسكري والمادي الأميركي المعروف للعدوان الإسرائيلي؛ فضلاً عن قرار مجلس الشيوخ والنواب الأميركيين الأخيرين ٥٣٤ و٩٢١ بدعم هذا العدوان؛ والفيتو الأميركي في مجلس الأمن ضد أي وقف

١ - راجع نص العريضة تحت الوثيقة - ٢ - من هذا العدد، ص ١٨٣



يافاطة في بنت جبيل

كيرستن شاييد

كان شعورُ المجموعة الجديدة (التي بدأت تُعمل تحت اسم «حملة المقاومة المدنية»)<sup>(١)</sup> أنه لم يعد يكفي العملُ في مجال إغاثة النازحين في بيروت والشوف والجبل، على أهمية ذلك، بل بات المطلوبُ أمرين: (أ) تحدّي الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الجنوبية، (ب) دعم بقاء الصامدين هناك. وبعد أيام طويلة من النقاش، شارك فيها ما لا يقلّ عن خمسين ناشطاً لبنانياً وعربياً ودولياً، قرّرنا إرسال «قافلة مدنية» محمّلة بموادّ الإغاثة إلى الجنوب (صُور تحديداً، أو ما بعدها إذا أمكن).

كان الهدفُ معنوياً ووطنياً أكثر منه إغائياً؛ فنحن لم نكن نملك عُشراً إمكانياتٍ أيّ مؤسسةٍ دولية، غير أننا نملك مشاعرَ عامرةً بروح التضامن الوطني (لا الإنساني وحده) مع الجنوبيين، الذين نعتبرهم خطّ الدفاع الأول عن لبنان، بل عن وجودنا نحن كأفرادٍ في أيّ بقعة لم يدسّسها الإسرائيليون بعد. وكنا متحرّقين شوقاً إلى أن نُظهر لمن اختاروا أن يبقوا في الجنوب رغم القصف والاحتلال أن هناك من يُقدّر صمودهم، وأننا (هكذا

لم يعد ثمة من معنّى لتنفّلاتي شبه اليومية بين بيروت وشقّتنا الصيفية التي كنا قد استأجرناها قبل أكثر من شهرٍ على الغزو الإسرائيلي. فالبنزين يكاد ينفد من المحطّات؛ والطرق تُقصف أحياناً؛ والأرقُ يباغتني كلّ ليلة أفضيها في مصيفنا. لذا قرّرتُ في النهاية أن أنزلُ إلى بيروت وأبقى هناك... حتى لو لم أفعلُ شيئاً ذا قيمة. واتخذتُ كيرستن القرارَ نفسه، دون أدنى تشاور. أما طفلتانا، فأمرهما لله.

في تلك الفترة (أوائل شهر آب) كان عددٌ من نشطاء «حركة التضامن العالمية في فلسطين» (ISM) قد جاءوا إلى بيروت للتضامن مع الشعب اللبناني في مواجهة العدوان. وكنتُ أعرف عدداً منهم، بل سبق أن قدّمتُ مناضلين بارزين من الحركة، هما آدم شاپيرو وپول لارودي، في «نادي الساحة» - الأول منذ عامين والثاني قبل شهرين.<sup>(١)</sup> وهكذا بدأ بعضُ الناشطين اللبنانيين والعرب والدوليين بعقد الاجتماعات في منزلنا من أجل التخطيط لنشاطاتٍ مدنيةٍ في وجه الاحتلال الإسرائيلي.

١ - الجدير ذكره أن «حركة التضامن العالمية» هي الحركة التي انضمت إليها الشهيذة رايثشل كوري (راجع رسائلها الإلكترونية قبل استشهادها في الآداب، ٤/٣ - ٢٠٠٦)

٢ - لمزيد من المعلومات عن هذه الحملة وسبل دعمها والمشاركة فيها، انظر [www.lebanonsolidarity.org](http://www.lebanonsolidarity.org)

## البحث عن المقاومة المدنية: تجربة شخصية/جماعية

وبمثاليةٍ وعفويةٍ وربما بسذاجةٍ) في صدد الإسهام - بمعينتهم - في بناء هويةٍ وطنيةٍ لبنانيةٍ جامعةٍ يكون أساسها الأولُ العداءُ لإسرائيل.

سيكون صعباً جداً اختزالُ أيامٍ طويلةٍ من النقاش الداخلي ضمن «حملة المقاومة المدنية» وللقارئ أن يتصورَ حلقةً تتراوح بين ٣٠ و٥٠ شخصاً في صالونٍ واحدٍ، أعمارهم تتراوح بين بداية العشرينات وأوائل الستينات، وجنسياتهم تبدأ من لبنان وتصل إلى الولايات المتحدة مروراً ببريطانيا ومصر وفلسطين وقبرص واليونان وإسبانيا وفنزويلا. إنه، بكلمة، برجُ بابل من اللغات واللكنات والتجارب والتوقعات والإمكانات والمعارف، تجتمع طبقاته - للمرة الأولى في حياتها - في ركنٍ واحدٍ، وعلى إيقاع التقدم الإسرائيلي. وإذا كان لي أن ألخص الأستلة الأبرز التي واجهت سكان ذلك البرج، فسأقول إنها التالية:

أ - هل نوافق على أن تكون قافلتنا برعاية مؤسساتٍ دوليةٍ كـ «برنامج الغذاء الدولي» WFP؟ وجاء القرارُ بالرفض، ذلك أن أكثرَ هذه المنظمات الدولية (وربما جميعها) تنسّق مع الاحتلال (الإسرائيلي في هذه الحال) قبل أن تتّجه صوبَ المناطق المحاصرةِ وأما حملتنا فكان مبرّزٌ وجودها عدم الاعتراف بحق إسرائيل في أن تحدّد أين نسيرُ وأين نقفُ فهذه أرضنا، ولنا الحقُّ في أن نذهب حيث شئنا فيها، وعلى الاحتلال الرحيلُ

ب - هل نسمحُ بدخولِ قوَى و«شخصياتٍ» سياسيةٍ إلى القافلة؟ هنا أيضاً جاء قرارنا بالرفض. ولا يعود السببُ فقط إلى أننا كنّا نحاول أن نفوّت على العدو فرصةً قصفنا بذريعة انتمائنا السياسي (وهو متنوّعٌ أصلاً ويضمّ مقرّبين من كتلة ١٤ شباط إلى ٨ آذار وما يتعداهما)، بل لأنّ نشاطنا يُفترض به أن يتخطى الحزبيّات. وعليه، فقد سمّحنا لأيّ كان بأن يشارك في القافلة بصفته الشخصية، شرط أن يحضّر الاجتماعات التمهيدية وألا يحتمل أثناء المسيرة السيّارة أيّ شعار حزبي أو علمٍ غير العلم اللبناني (بالمناسبة، لستُ مُغرماً بهذا العلم ولا

بغيره، ولكّنه كان رمزاً - مؤقتاً على الأقلّ - للهوية الجامعة التي حاولنا أن نشدّد عليها).

ج - ما هو موقفنا من حزب الله؟ كان الجواب بدهياً بالنسبة إليّ؛ فأنا طبعاً مع حزب الله في هذه المرحلة تحديداً، ومع سلاحه، بل مع أيّ سلاح يُرْفَع في وجه إسرائيل، في أيّ مكانٍ وأيّ زمان. ولكنّ كان في صفوفنا أشخاصٌ ضدّ العدوان الإسرائيلي من دون أن يكونوا (بالضرورة) مع حزب الله. لذا تَقَرَّر أن يكون موقفنا «الرسمي» هو أننا معادون للاحتلال الإسرائيلي، وأن أيّ خلافٍ داخليٍّ بخصوص سلاح حزب الله والمقاومة «مرهونٌ حله بالمجتمع اللبناني لا غير»

د - أَلن يكون عملنا مغامرةً كبرى، حظوظُ الفشلِ والموتِ فيها تُعادلُ (أو ربّما تتجاوز) حظوظُ النجاح والحياة؟ لم تكن مجموعة استشهاديةٍ ولا انتحارية، وإن كان احتمالُ خطرِ الموتِ والإصابة بالجروح ماثلاً أمامنا جميعاً كان بيننا من يتّقد حماساً للتحديّ والمواجهة، ولو بحساباتٍ ضعيفة. وكان بيننا ناشطون جاءوا من خلفيّةٍ مواجهةٍ إسرائيل داخل فلسطين، أيّ بتجربةٍ غنيّةٍ ولكنّ مختلفةٍ كثيراً عن واقعنا الآن - حيثُ السيادةُ في الجنوب للطائرات الإسرائيلية لا للجنود المترجّلين كما هو الحال في رفح مثلاً. ومع ذلك فقد توصّلنا إلى تخفيف عناصر المغامرة قدرَ الإمكان بالتشديد على أننا لن نُقدّم على إرسال القافلة قبل تحقيق الأمور الثلاثة التالية (١) تأمين عدد كبير من السيّارات المشاركة لا يقلُّ عن خمسين أو مئة (وكنا قد «أمنّا» إلى ما قبل انطلاق القافلة ببضعة أيام أكثرَ من خمسين سيّارة فعلاً). (٢) تأمين أكبر عدد من وسائل الإعلام المرافقة، وبخاصةً الدولية، وعلى رأسها CNN وTV5 وBBC، وبمعيّة مراسلين غربيين، على أساس أن إسرائيل ستفكر مرتين قبل أن تُقصف قافلةً تُشمل مواطنين أميركيين وأوروبيين «بيضاً». (٣) تأمين أكبر عدد من المشاهير؛ فالعدوّ سيفكر ثلاث مرّات قبل أن يُقصف قافلةً تضمّ شخصياتٍ مثل سوزان ساراندن وشون بِن ونوم تشومسكي وجوليا بطرس وحسين فهمي (بل اقترح أحدنا - ولعلّه أنا - اسمَ الرئيس الأميركي السابق دجيمي كارتر).



كيرستن شايد

عبد الرحمن زعزع (من «حملة المقاومة المدنية») وأطفال سلعا

حَضَرُوا أَيَّ اجْتِمَاعٍ سَابِقٍ، بَلْ وَلَمْ يَمَلَأُوا الْإِسْتِمَارَاتِ الصَّحِيَّةِ وَالْأُمْنِيَّةِ الَّتِي أَعَدَّتْهَا كِيرِسْتَنُ! (١)

سَأَعْفِي الْقَارِئُ مِنْ وَصْفِ تِلْكَ اللَّحْظَاتِ الْعَصِيْبِيَّةِ الَّتِي عَشَّثَهَا لَيْلَةُ الْإِنْطِلَاقِ. فَهِيَ أَنَا فِي الْبَيْتِ، وَكِيرِسْتَنُ فِي مَقْهَى «تَاءِ مَرْبُوطَةٍ» تَعْمَلُ عَلَى إِعْدَادِ الْقَافِلَةِ الْمَغَامِرَةِ كَانَ الْغَضَبُ يَحْفَرُ فِي عَظْمِي حَفْرًا، وَالشَّتَائِمُ تَتَطَايَرُ (كَالْعَادَةِ) مِنْ فَمِي. كَيْفَ يُفْعَلُونَ ذَلِكَ؟ وَمَاذَا يَعْرِضُونَ أَنْفُسَهُمْ لِمَوْتٍ (غَيْرِ مُحْسُوبٍ)؟ وَمَاذَا يَعْرِضُونَ الْحَمْلَةَ، حَتَّى قَبْلَ نَشْوئِهَا الْفِعْلِيِّ، لِلانْهِيَارِ؟ فِي تِلْكَ السَّاعَاتِ قَرَّرْتُ أَنْ أُرْكَزَ عَلَى وَظِيْفَةٍ وَاحِدَةٍ: أَنْ أَكُونَ أَبًا! عَدْتُ إِلَى سَارِيَّةٍ وَنَائِي بَعْدَ غِيَابِ أَيَّامٍ طَوِيلَةٍ، وَرَحْتُ أَلْعَبُ مَعَهُمْ، بِعَصِيْبِيَّةٍ وَاضِحَةٍ طَبْعًا. وَكُنْتُ، كُلَّ دَقِيقَتَيْنِ، أَسْتَعْلِقُ الْفُرْصَةَ لِأَتَسَلَّلَ إِلَى التِّلْفِزِيُونِ بَغِيَّةً الْإِطْلَاعِ عَلَى آخِرِ الْجَسُورِ الْمَهْدَمَةِ، أَوْ لِأَكْتُبَ إِلَى كِيرِسْتَنُ رِسَالَةً خَلْوِيَّةً أَلْعَنُ فِيهَا أَبَاهَا وَأَبَا الْحَمْلَةِ (وَالْأَكِيدَ أَنْ كِيرِسْتَنُ رَدَّتْ بِالْمَثَلِ، بَلْ وَكَالَتْ لِي الصَّاعِ صَاعِينَ)

الحاصل أن القافلة انطلقت على بركة الله وحده، لا شريك له وبعد أن عملت كيرستن طوال الليل على إعداد السيارات

هـ - ما تُرَانَا نَفْعَلُ إِذَا فُصِّفَتِ الْقَافِلَةُ، أَوْ فُصِّفَ مَقْدَمُهَا، أَوْ مُؤَخَّرُهَا، أَوْ عَلَى مَقْرِبَةٍ مِنْهَا؟ هُنَا تَشَعَّبَ النِّقَاشُ وَاحْتَدَمَ، ثُمَّ تَشَكَّلَتْ لَجْنَةٌ «اتَّخَذَ قَرَارًا» أَوْكَلَتْ إِلَيْهَا هَذِهِ الْمَهْمَةَ الصَّعْبَةَ.

عَشِيَّةَ انْتِطَاقِ الْقَافِلَةِ تَبَيَّنَ لَنَا أَنَّ شُرُوطَ سَيْرِ الْقَافِلَةِ لَمْ تَتَحَقَّقْ لَمْ مِنْ حَيْثُ السِّيَارَاتُ (إِذْ انْخَفَضَ عَدَدُ السِّيَارَاتِ «الْمُضْمُونَةِ» مِنْ ٥٠ إِلَى ٦ فَقَطْ!)، وَلَا مِنْ حَيْثُ وَسَائِلُ الْإِعْلَامِ الْأَجْنَبِيَّةِ الْمُرَافِقَةِ، وَلَا مِنْ حَيْثُ الْمَشَاهِيرِ (بَعْضُهُمْ وَعَدَّ ثَمَ نَكْتٌ بِوَعْدِهِ، وَالْآخَرُونَ لَمْ يَتِمَّ الْإِتِّصَالُ بِهِمْ أَصْلًا) عِلَاقَةٌ عَلَى ذَلِكَ، بَاتَ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ الْوَصُولُ إِلَى صُورٍ بِسَبَبِ الْقِصْفِ وَقَطْعِ الطَّرِيقِ وَالْجَسُورِ. وَكَانَ يُفْتَرَضُ، وَالْحَالَةَ هَذِهِ، أَنْ تَوْجَّلَ الْقَافِلَةُ إِلَى حَيْثُ اسْتِكْمَالِ الشُّرُوطِ لَكِنَّ «الْحَمْلَةَ» مَضَتْ قُدْمًا وَعَزَمَتْ عَلَى التَّوَجُّهِ إِلَى النِّبْطِيَّةِ!

انْسَحَبْتُ غَاضِبًا، وَأَسْفًا، وَخَائِفًا عَلَى زَمَلَانِي (وَخَاصَّةً كِيرِسْتَنُ) الَّذِينَ خَالَفُوا مَا سَبَقَ أَنْ قَرَّرْنَاهُ وَيَبْدُو أَنَّ الْحَمْلَةَ تَلَقَّتْ جَرْعَةً إِضَافِيَّةً مِنَ الْحَمَاسِ فِي اللَّحْظَاتِ الْآخِرَةِ، إِذْ حَضَرَ الْجَمَاعَةَ عَشِيَّةَ التَّوَجُّهِ إِلَى الْجَنُوبِ عَشْرَاتُ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ أُعْرِبُوا عَنْ رَغْبَتِهِمْ فِي الْإِنْضِمَامِ مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا قَدْ

١ - للتفصيل، راجع مقال كيرستن شايد، «صيفاً بين المطر والرعد»، في هذا العدد

## البحث عن المقاومة المدنية: تجربة شخصية/جماعية

ج - الحرصُ على الاستفادة من تجارب المناضلين الدوليين، ولكنَّ شرطاً عدم الخضوع لتوجُّهاتهم ولا حتى مسابرتهم فهؤلاء المناضلون المخلصون يأتون للتضامن معنا، غير أنهم قد ينجرّفون إلى محاولة فرض أفكارهم وتجاربهم إن رأوا أن لا خطط واضحة لدينا.

د - التشديدُ على التحدُّث بلغة واحدة أثناء النقاشات الداخلية، هي اللغة العربية، لا بلغة أخرى أو بخليط من لغتين أو أكثر. فاللغة جزء من التفكير، وهي من ثم جزء من صناعة القرار أيضاً. كما أن الحديث بالإنجليزية سينقِر (وقد نَقُر فعلاً) عدداً من اللبنانيين (المشاركين وربما المحتملين) الذين لا يعرفونها أو لا يتقنونها. أما بالنسبة إلى المتضامنين الدوليين، فعلينا في هذه الحال أن نترجم لهم قراراتنا أو جزءاً من نقاشاتنا بعد الانتهاء منها، لا أن نصرف وقتاً ثميناً في ترجمة كل شيء.

هـ - عدم الحكم مسبقاً على الشخص بالاستناد إلى خلفيته السياسية وحدها. فالحق أن من بين أعضاء الحملة من كانوا يُحسبون قبل ١٣ تموز على جماعة ١٤ شباط، ولكن نشاطهم وكفاحيتهم وإخلاصهم برزت من قد يُحسب على الخط الغيقياري!



أثناء العمل على القافلة المدنية كان قلقي يتصاعد يومياً من حدة التمذهب الطائفي في لبنان، وفي بيروت حيث أقيم؛ وهو ما أحسست أنه سيسبب، في حال تفاقمه، طعنة نجلاء في ظهر المقاومة. وأتفق أن اتّصل بي صديقان، هما باسم حسن (بلجيكا) وزينب شرف الدين (بيروت)، وتحدّثا كلُّ على حدة عن فكرة القيام بمظاهرة حاشدة تجتمع مختلف الأطياف السياسية والشعبية اللبنانية تحت شعار واحد («لا لإسرائيل» أو شيء من هذا القبيل) وعلم واحد (هو العلم اللبناني). وكما تلاحظون، فإن فكرة التوحد الوطني كانت تدغدغ خيالي في ذلك الشهر الرهيب؛ ومع أنني عادةً أميل إلى النقد والتدمير، فإنه يحدث أن يصبح الواحد منا أكثر سماحةً وأقل تشجُّباً في لحظات معينة

والمعلومات الصحبة الخاصة بكلِّ مشارك، قررتُ هي الأخرى عدم الذهاب ومثلها فعل عدداً آخر من أعضاء الحملة. وهنا حصلت المفاجأة التي لم تكن نتوقها: فقد أوقفت قوى الأمن الداخلي القافلة عند جسر «الناعمة» ومنعتها من المضي بحجة الخوف على حياتها، مع أن القوى المذكورة (التي تأتمر بقرارات الوزير الهمام أحمد فتفت الذي سيصدر لاحقاً أمراً بتسليم ثكنة مرجعيون للعدو) سمحت لأكثر من مائتي سيارة أخرى بالعبور!

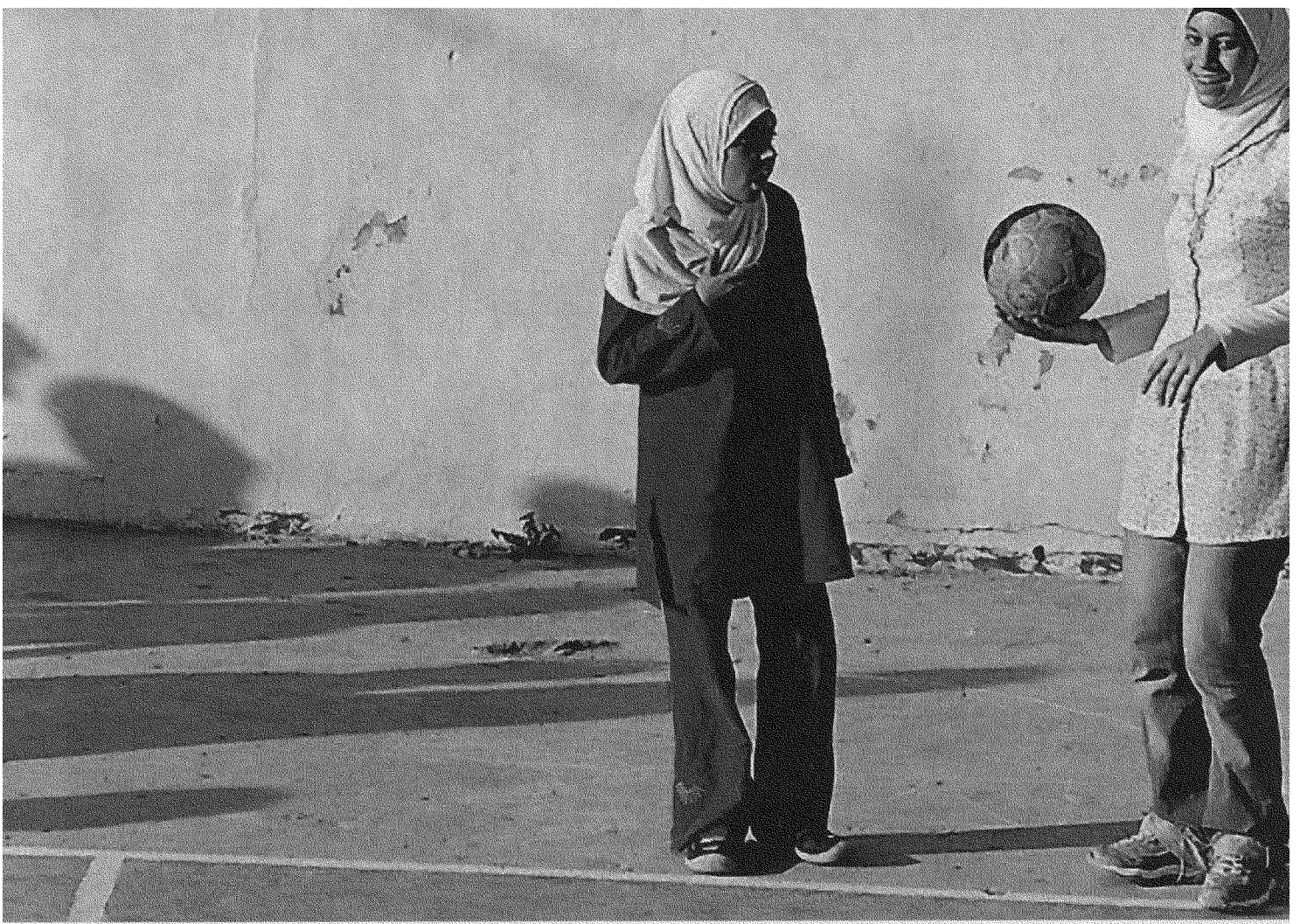
عادت الحملة من الرحلة خائبة. أكان ثمة تقصير في إعلام القوى الأمنية بالرحلة قبل قيامها؟ «رشا» أكدت أنها اتصلت فعلاً بها وأعلمتها وفي أي حال، هل سنسترجع الآن صورة البكباشي جمال عبد الناصر في الفالوجة (فلسطين) حين اكتشف، بعد مهزلة «الأسلحة المصرية الفاسدة»، أنه لا يمكن تحرير فلسطين قبل تحرير مصر (أي تغيير النظام)؟ أكان يمكن فعلاً تحدي الاحتلال الإسرائيلي في الجنوب من دون أي اعتبار للحكومة «السويبر حريصة» على أمن القافلة وغير الحريصة أبداً على أمن السيارات المتتية الأخرى خارج القافلة؟!

قد أكتب عشرات الصفحات الأخرى عن الخطوات الأولى في هذه التجربة الرائدة رغم فشلها في تحقيق هدفها الأساسي - وهو تحدي الاحتلال. ففيها تكثفت جملة عيبر سترافتنا وقتنا طويلاً، خاصة أن الحملة لم تتوقّف، بل هي اليوم في طور جديد، أكثر ريادةً، وأشدّ وعياً وخلقاً، كما سائبين لاحقاً. ولكن لا بد الآن من زجر دروس سريعة خلقتُها تجربة القافلة المدنية في وعيي

أ - ضرورة الالتزام بالقرارات الجماعية، بدلاً من التفرد والمزايدات والعنتريات.

ب - لزوم الابتعاد عن أمثلة (أو رنطقة) «الوحدة اللبنانية»، أو على الأقل ينبغي إبقاء الشكوك حيةً دوماً إزاء السلطة اللبنانية.





فتيات في مدرسة سلعا

غابرييلا بوايسوفا

الرفيق من «الاتحاد» بأنه يريد «فتح ملفي» قبل المجيء للتأكد من وطنيتي! رجونا الرفيق أن يعاود الاتصال بالكتلة، وتطوُّع شاب آخر بالاتصال بقنوات أخرى داخل تلك الكتلة، واتَّفقنا على لقاء ثانٍ موسَّع في نادي الساحة. لكنَّ أحدًا من المتغيِّبين لم يأت هذه المرة أيضًا. عندها بات واضحًا لدينا أنَّ هذه الكتلة لا تريد المشاركة في تظاهرةٍ واحدةٍ معاديةٍ لإسرائيل، لا يُرفع فيها إلاَّ العلمُ اللبناني، بل وتُمنعُ فيها كلُّ الصُّور (كنا سنبدل قصارى جهننا للحؤول دون رفع صور السيد حسن نصر الله نفسه لو وافق المتغيِّبون على المجيء).

في اجتماعنا المختصر، نحن عملاء النظام الأمني اللبناني - السوري المشترك (كما قد يسمِّينا السيادةيون، أكلو السندويتش مع راييس، ومُمتدحو وولفويتز، ومهنتو جون بولتون على إنجازاته، وفارضو الوصاية السورية طوال عقود، والمدافعون عن مسلَّمي تكتة مرجعيون إلى العدو، والمطالبون اليوم بقوات دولية على المعابر السيادية كالمطار)، اقتَرَحَ أحدهم أن ننسَقَ المظاهرة مع منظمات المجتمع المدني بدلاً من ١٤ شباط ولكننا حين اتَّصلنا بممثِّلين عن الهيئة العليا لهذه المنظمات، تبَيَّنَ أنها لا تشارك في «تظاهراتٍ سياسية... إلا إذا كانت كلُّ الأطياف مشاركة!

من الحرب. وعليه، فقد اتَّصلتُ بالصدِّيق د. أدونيس العكرة (أستاذ فلسفة وناشط في التيار الوطني الحرّ) وعرضتُ عليه فكرة مسيرةٍ أسمىها «من الشهداء إلى الشهداء» (أي من ساحة الشهداء في بيروت إلى الضاحية، حيث ذُفن مؤخرًا شهداء جدد يُقوِّنون شهداء العسف التركي بمرات). رحَّب أدونيس شخصيًا بالفكرة، ثم اتَّصلَ بعد يومين فأكد موافقة تياره على المشاركة ووعد بإرسال ممثِّلة عن التيار (تبَيَّنَ لاحقًا أنها ناشطة أكاديمية متميِّزة وواعية). ثم اتَّصلتُ بأحد الرفاق في حركة الشعب - قطاع الشباب والطلَّاب، واتَّفقنا على عقد اجتماع موسَّع يضمُّ ممثلين عن عدد من القوى السياسية والشبابية (الحزب الشيوعي، الحزب السوري القومي الاجتماعي، حزب الاتحاد، حزب الله، حركة أمل، اتحاد الشباب الديمقراطي، فضلًا عن حركة الشعب و«التيار» طبعًا)، على أن يقوم رفيق من «الاتحاد» وآخر من «الشعب» بالاتصال بقوى ١٤ شباط/آذار ودعوة ممثِّليها إلى الاجتماع في مكتب مجلة الأركاب

حان وقتُ الاجتماع ولم يأتِ أيُّ ممثِّلٍ عن كتلة ١٤ شباط/آذار. بل إنَّ مسؤولَ الشباب في أحد أحزاب الكتلة المذكورة أخبر

## البحث عن المقاومة المدنية: تجربة شخصية/جماعية

تقنيات تربوية حديثة، وفي مساعدة الأطفال المصابين بالأم  
نفسية جراء الحرب

لن يكون من قبيل الإنصاف أن أسترسل في وصف أعمال  
«حملة المقاومة المدنية» الآن - فهي ما زالت في شهرها الأول،  
وستعرضها المشاكل والمعوقات من دون شك. ولذلك فإنني  
سأترك التوسّع فيها إلى مقال لاحق.

❖ ❖ ❖

توقفت الحرب وانتصرت المقاومة .. وإن من حيث إفشالها  
أهداف إسرائيل لا غير. وعدت إلى الآداب التي لم أُنسها يوماً  
خلال كل هذه الأحداث وفي الأسبوع الأول من «السلام»  
الجديد، بدأت بإعداد هذا الملف بمشاركة كيرستن والشباب في  
دمشق والدار البيضاء ورام الله والقاهرة، وفوجئت بحجم  
الإقبال الشديد على الكتابة فيه فالحدث هز الجميع، ويبدو أن  
المقاومة الوطنية اللبنانية (الإسلامية) هزمت الانهزامية في  
نفوس كثير من المثقفين.

وإذ أضع اللمسات الأخيرة على هذا العدد الذي تأخر صدوره  
كثيراً، فإنني أستعد لحضور الاجتماع الأول من أجل التحضير  
لقيام أسبوع ثقافي كامل هنا في بيروت، منتصف تشرين الأول  
(أكتوبر)، بعنوان «ثقافة المقاومة»، يشارك فيه شعراء ومفكرون  
ومُطربون بهدف تعزيز الأسس الفكرية والشعورية لحركة  
المقاومة اللبنانية والعربية

كانت تلك ملامح تجربة عشتها وما أزال أعيشها وأمل أن  
تتواصل - بأخطاء أقل وعزيمة أكبر وموارد أكثر. ودوري كما  
أراه، ككاتب وناشط، هو أن أبقى في قلب العمل المقاوم، وأن  
أفيد الناس وأستفيد منهم

بيروت

د. سماح إدريس

كاتب وناشط لساناني

وهكذا فرط المشروع إذ لا مبرر للتظاهرة أو المسيرة إن كانت  
ستكون من «لون واحد» - في العرف الإعلامي السخيف الذي  
يصنّف الشيوعي والعوني والإسلامي والقومي والناصرى في  
خانة واحدة هي موالاة سوريا وإيران! وكان واضحاً أن الشعب  
اللبناني، الذي تقول أكثريته الساحقة (بحسب «الدولية  
للمعلومات») أن إسرائيل هي العدو، لا تستطيع نصف قواه  
السياسية رفع شعار واحد يجمعها بالقوى الأخرى، ألا وهو «لا  
إسرائيل». فقط لا غير

أي ساذج كنت . ولا أزال

❖ ❖ ❖

بعيد ١٤ أب بدأت «حملة المقاومة المدنية» كما ذكرت تتخذ  
مسارات جديدة، خلقة، ومتنوعة، وسياسية بالمعنى الأعمق  
لكلمة «سياسة» العمل مع الناس، وإفادتهم، والاستفادة منهم  
كانت العمليات الحربية قد توقفت، وإن بقيت ثمة ألغام ومواقع  
للجيش الإسرائيلي في الجنوب. اتخذت الحملة من منزل رفيقنا  
وصديقنا بلال الأمين في ديركيفا مقراً لها، وراحت تنتقل من  
قرية منكوية إلى أخرى، مرگزة على القرى الصغيرة التي لم  
تصلها أحياناً وكالات الإغاثة الكبرى

ففي زبقين (بلدة الشاعر شوقي بزيع حيث استشهد ١٢  
شخصاً بضربة واحدة) قدمت الحملة للمواطنين المياه، والأدوية  
(للأمراض المزمنة والعناية الملحة)، ومولداً كهربائياً، وملابس  
وفي سلعا (حيث استشهد ٨ أشخاص) أضيف إلى ذلك كله  
قراءات للأطفال، وترفية لهم وفي القنطرة، قدمت الحملة  
للأهالي مضخة ماء، ووزعت ملابس وحصصاً تموينية وفي  
حولا قدمت، إضافة إلى ذلك، مواداً طبية. البارز في جميع هذه  
النشاطات أن المشتريات تتم من السوق المحلية، تعزيزاً للحركة  
الاقتصادية في الجنوب والأهم من ذلك كله أننا الآن نبنى  
صلات رائعة مع الناس هناك، نأمل ألا تنقطع يوماً، وهي  
صلات قد بدأت تتخذ أبعاداً جديدة، لاسيما في مجال الترويج  
لمقاطعة السلع الداعمة لإسرائيل، وفي تدريب المعلّمت على